Journal of Language Studies. **Vol. 5, No. 4, Summer 2022, Pages (15-27)**

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

Journal of Language Studies

Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Vinegar Humor Death in the Diwan of Ibn Shahid Andalusi

Assist. Lect. Ibrahim Rawi Saleh*

Northern Technical University / Kirkuk Technical Institute

ibrahimrawe@ntu.iq

Received: 22 /6 /2022, **Accepted:** 14 /8/2022, **Online Published: 31 /8/ 2022**

Abstract

The summary of the research is based on the fact that the political events (the period of sedition) that took place at the beginning of the literary poet's career, have refined his personality and his poetic flair and prompted him to pay attention to the affairs of people and rulers once and to harmonize with every ruler who enters Cordoba in a hope that he will find in this ruler his desire for the return of Andalusian glory, but he gets disappointed over and over again. And also the strife prompted him to play his literary role in defending the Andalusian character from being lost. The complex of deficiency that accompanied the Andalusian character and its feeling of that towards everything that comes from the East prompted Ibn Shaheed to show this character at the top of its giving, and this was achieved in the critical looks that he came up with, as well as in his poetic philosophy that based on innovation and uniqueness in poetic images. So taking with him depends on changing the poetic image and increasing it, and what his journey in the minions and whirlwinds and the permission of the writers and Oriental poets to show him his superiority and the supremacy of Andalusian literature and that it is an independent literature with its characteristics and poetic arts. Among the characteristics of this superiority were the prose, critical and poetic features of Ibn Shaheed, which are the focus of this study.

Keywords: Andalusian, politics, humor, poetry.

* **Corresponding Author**: Assist. Lect. Ibrahim Rawi **, Email**: ibrahimrawe@ntu.iq
Tel: +9647701385093**, Affiliation**: Northern Technical University / Kirkuk Technical Institute -Iraq

الخل الفكاهة الموت في ديوان ابن شهيد الاندلسي

م.م. ابراهيم راوي صالح

الجامعة التقنية الشمالية / معهد التقني كركوك

الملخص: ان ملخص البحث يستند الى حقيقة ان الاحداث السياسية (فترة الفتنة)التي وقعت في بداية مشوار الشاعر الادبي قد صقلت شخصيته وقريحته الشعرية ودفعته الى الاهتمام بشؤون الناس والحكام مرة والتناغم مع كل حاكم يدخل قرطبة املا ان يجد في هذا الحاكم ضالته في عودة المجد الاندلسي لكن ظنه يخيب مرة تلو الاخرى كما دفعته الفتنه الى ممارسة دوره الادبي في الدفاع عن الشخصية الأندلسية من الضياع فمركب النقص الذي رافق الشخصية الأندلسية وشعورها بذلك اتجاه كل ما يرد من المشرق قد دفع ابن شهيد الى اظهار هذه الشخصية في قمة عطائها وقد تحقق ذلك في النظرات النقدية التي جاء بها وكذلك في فلسفته الشعرية القائمة على الابتكار والتفرد بالصور الشعرية فالأخذ عنده مرهون بتغيير الصورة الشعرية والزيادة عليها وما رحلته في التوابع والزوابع واجازة الكتاب والشعراء المشرقيين له بإبداء تفوقه وتفوق الادب الاندلسي وانه ادب مستقل له خصائصه وفنونه الشعرية. وقد كان من خصائص هذا التفوق الميزات النثرية والنقدية والشعرية التي امتاز بها ابن شهيد والتي هي محور هذه الدراسة.

الكلمات الدالة: الاندلسي، السياسية، الفكاهة، الشعر

المقدمة

لا نشك ان شاعرا اندلسيا قد تناولته الدراسات وتلقف ادبه الباحثون في الادب الاندلسي كابن شهيد الاديب والشاعر لكن هذا المضمار يحمل في جنباته الكثير من الخفايا ويظل مضمارا للتنافس وتقديم كل ما يرتبط بهذا الادب العتيد ومن اشتغل به. ان الادب الاندلسي حمل الينا نتاجا ثرا من الشعر والنثر والموشحات والمعارضات وقد امتاز هذا الادب بفحولة شعرائه وقوة نظمهم وتجسيدهم للحياة الأندلسية الاجتماعية منها والسياسية والفكرية وجمال الطبيعة ولم يفتهم ان ينقلوا الينا ما شاهدوه وعاينوه وعاشوه في فترات متأخرة من تاريخ هذه الحضارة وما اصاب دولتهم وكيف ان مدنهم بدأت تتهاوى وتسقط امام اعينهم فكان ان نقلو لنا معاناتهم والمجتمع وما حاك في انفسهم من لوعة والم وغصة وحيرة وضياع لقد شكلت هذه الارهاصات عنوانا للكثير من الصور الادبية والشعرية فقد صور هؤلاء الشعراء هذه المعاناة في قصائدهم وأدبياتهم الاجتماعية والفكرية.

وابن شهيد شاعرنا واحد من هؤلاء الشعراء الذين عاشوا التجربة لاسيما انه قد عاش فترة الفتنة بكافة ماسيها و قد ولد ونشا في خضمها وقد اثر ذلك وانعكس على نتاجه الشعري فكان لزاما ان نقف امام ديوان الشاعر ونستقرئ شخصيته الادبية ونتعرف على ملامحها بعد ان طغى عليها حزن كبير فالشعراء كما هو معلوم غالبا ما يعكسون حياة المجتمع وارهاصاته وتطلعاته وما يأملوه وقد جلا ابن شهيد الكثير لنا عن تلك الحقبة (382هـ_ 426هـ) فالخل والموت والفكاهة شكلت عنوانا نقل الشاعر لنا من خلالها معاناة المجتمع آنذاك.

لقد جاء اختيار هذا الموضوع عنوانا للبحث الادبي لما يحمله الموضوع من قيمة فنية في الاسلوب والدلالات والصورة الشعرية لشاعر كبير لا يمكن اغفال ديوانه بدون بحث والخوض في قيمة هذا الديوان الفنية لا سيما ان محقق الديوان (الدكتور يعقوب زكي) قد بذل جهدا يشار اليه في ترتيب القصائد بحسب المراجع المستقاة وقيمتها الادبية وبحسب اهمية القصائد وتسلسلها التاريخي كما انه فصل في حياة الشاعر لذا فان هذه الدراسة قد جعلت من طبعة هذا الديوان محورا اساسيا للبحث . قام البحث في ثلاثة فصول ومقدمة وملخص وخاتمة وقد تناولت الفصول الثلاثة عناوين البحث تعريفا ومن ثم قمنا بتحليل النصوص الشعرية معتمدين على ديوان الشاعر ومستعينين ببعض المراجع الاساسية واهمها وفي طليعتها كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام الاندلسي.

ولا يفوت الباحث ان يشكر كل من ساعده لا سيما العاملين في مكتبة المعهد التقني كركوك فلهم كل الدعاء وفي ختام البحث ادعو الله ان اكون قد وفقت لتقديم اضافة علمية للأدب الاندلسي ومفتاحا للباحثين لاستجلاء ما فات ومن الله التوفيق.

حياة الشاعر

ولد ابن شهيد في قرطبة ومن عائلة عرفت بولائها للبيت الاموي نشا الشاعر في قصور الخلافة فقد كان والده وزيرا وكذلك جده فهو من عائلة عرفت بخدمتها للبيت الاموي، على الارجح انه ولد سنة (382هـ) اي في زمن فترة الحجابة في عهد المنصور بن ابي عامر وقد رويت عدة قصص تكشف قرب ابن شهيد من الحاجب المنصور وكيف ان المنصور كان يقربه وهو طفل صغير لما عرف من مكانة والده في خدمة الخلافة وكيف انه في يوم من الايام وفي مجلس المنصور وكان عمره آنذاك خمس سنوات قد شاهد تفاحة في يد المنصور واطال النظر اليها فناوله المنصور التفاحة لكنه لم يستطع ان يقضمها فما كان من المنصور الا ان بدا يقضم البعض منها ويناوله للفتى الصغير فحياة ابن شهيد في صغره ارتبطت بحياة والده الذي كان يخدم الخلافة هو وعائلته من اركانها فقد كان وزيرا وكذلك جد شاعرنا ايضا كان وزيرا.

وقد عرف عن ابن شـــهيد ومنذ نعومة اظفاره انه من الصـــبية الذين يحفلون برضـــا الاخرين ولا يحفلون بالمال وان خمائله قد جبلت على الكرم والجود واضـــاعة المال وهدره فقد روى ابن بسام ان ابن شهيد قد نال يوما مبلغا يزيد عن اربعمئة دينار وهبته له زوجة المنصور فما كان منه الا ان قام سـريعا بتوزيع جله على الخدم ومقتنيا ببعضـه تماثيل للجند ولعبا (1). ويبدو انه ورث هذا الكرم عن جده لأبيه حيث كان من الكرم والجود انه اهدى للناصـر الخليفة الاموي هدية لم تسـمع وترى مثلها قرطبة توزعت بين المسـك والكافور والعنب واللباس مما لا يحصـــى فالحرير المغزول وحده زاد عن اربعة الالاف رطل ونيف كما يروي المقري نقلا عن ابن خلدون (2) لقد لعبت الفتنة التي اصابت الاندلس وسقوط الخلافة (399 هـ) دورا كبيرا في تغيير مسار حياة ابن شهيد وهو من كان يجد في الخلافة والحجابة الظل الذي يستظل به وقد ظل ابن شـــهيد طوال حياته يبذل الجهد مع الامراء الدبن دخلوا قرطبة من اجل عودة الخلافة الاموية او ما تبقى منها لكن الظروف السـياسـية وطبيعة المرحلة لم تسـعفه ولم تسـعف غيره من المخلصين.

لقد اثرت هذه الانعطافه السياسية الكبرى كثيرا في شخصية الشاعر فغلب على شعره روح التشـاؤم فالأحداث المتسـارعة في قرطبة وما رافقها من قتل وحرق لمظاهر الحضـارة و الحياة الاندلسية كان لها وقع وقد بان هذا الوقع وساعد في تشكل شخصية ابن شهيد المركبة من كل هذه التناقضات.

الفصل الاول : الخل :

لغة : الخلال : بالفتح : البلح والخليل الصـديق، والخلال ايضـا : المخالة ، والمصـادقة ، والخلال بـالكســـر : العود الذي يتخلل بـه والجمع الاخلـة (3). فمن خلال التعريف اللغوي لمصـطلح الخل فهو يعني الصـديق والصـديق القريب ونظرا لان ابن شـهيد عرف بعلاقاته الاجتماعية الواسعة فهو قد نادم الامراء والشعراء والقادة لاسيما فترة الفتنه حيث كان ينتقل من مدينه لأخرى بحسـب ظروفها السـياسـية والاجتماعية حيث كانت المدن تسـقط يوما بيد حاكم ومن ثم تعود في قبضـة حاكم اخر ونظرا لان شـاعرنا جعل من نفسـه رهينا لهؤلاء الامراء فقد خلق ذلك ارتباكا في حياة الشـاعر وجعل من حياته عبارة عن محطات سـفر كثيرة املا تحقيق اماله في الاستئزار او نيل المراتب العليا لاسيما وانه قد سار في خط احفاد المنصور ابن ابي عامر بعد سقوط دولتهم محاولا مساعدتهم في عودة هذه الدولة.

واول ما يطالعنا قول الشاعر يخاطب صديقه المقرب محمد بن ابي حزم ويمدحه:

وانت ابن حزم منعش من عثارها اذا ما شرفنا بالجدود العواثر

وما جر اذيال الغنى نحو بيته كأروع معرور ظهور الجرائر
اذا ما تبغى نضرة العيش كرها لدى مشرع للموت لمحة ناظر
فسل من التاويل فيها مهندا اخو شافعيات كريم العناصر
لمعتزلي الراي فيها ناء عن الهدى بعيد المرامي مستميت البصائر
يطالب بالهندي في كل فتكة ظهور المذاكي عن ظهور المنابر(4)

لقد تجاوز الشاعر حدود الود المعهود بين الشعراء والمكانة والمنزلة التي شكلها ابن حزم في حياة ابن شـهيد دفعته للمناقحة عنه وعن مذهبه الديني الشـافعي والذي عرف به ابن حزم في بداية شبابه وهو مذهب كما يرى الشاعر بعيد عن لغة السيف ولغة التعصب وهو يشير الى ما اصـــاب احمد بن حنبل وغيره من العلماء على يد المعتزلة اثناء فتنة خلق القران فما كان من ابن شـهيد الا ان خلع عليه رداء القدسـية والصـدق والمروءة وهذا نابع من قدرة ابن شـهيد في الملاحظة وقراءة ما يعتري الاخرين . لقد شكل الاصدقاء من الشعراء والادباء حيزا مهما من حياة ابن شـهيد فهو كان يحفل بهم كثيرا بل ان حياته كانت تدور في فلكهم وفي هذا يصـف مجلس قد جمعه ببعض من اصدقاءه من الادباء والشعراء دون ان يسميهم:

وفتية كالنجوم حسنا كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض كانه الصارم الصقيل,
راموا انصرافي عن المعالي والغرب من دونها قليل
فاشتد في اثرها مسح كل كثير بها قليل,
في مجلس شابه التصابي وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه اسير قد عرضت وسطه نصول
يراد منه المقال قسرا وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا بحر دم تحته يسيل
كان اخفافنا عليه مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر اين تجري فهي على شطة تقيل (5)

لقد وصـف ابن شـهيد مجلسـا قد شـهده في لمة من الفتيه من الشـعراء بحسـب وصـفه خالعا عليهم هالة من النبل كل واحد منهم قد انبرى بســلاحه الشــعري يتباهون يتبع بعضــهم بعضـا في الوصـف كل يرمي ما بجعبته من قصـائد اجود ما انتجته القريحة حتى ان باب هذا المجلس بعد ان رمي بقصائد غدا اشبه بأسير رمي بالسيوف و الانصال وقد بدا ذلك جليا في مرضـه الذي توفي به فقد اصـيب بمرض عضـال وهو النقرس وهو مرض يصـيب بعض اجزاء جســم الانســان يجعله عاجزا عن تحريكها وقد اراد ابن شــهيد ان يكفر عن ذنوبه ويعبر عن مشاعره الجياشة وهو يعلم انه ميت لا محاله فكان للصحبة والصداقة وزنها وحضورها في نفس الشاعر وهو يكابد و يعاني ما يعاني :

استودع الله اخواني وعشرتهم وكل خرق الى العلياء سباق
وفتية كنجوم القذف نيرهم يهدي وصائبهم يودي باحراق
وكوكبا لي منهم كان مغربه قلبي ومشرقه مابين اطواقي
الله يعلم اني ما افارقه الا وفي الصدر مني حر مشتاق
كنا اليفين خان الدهر الفتنا واي حرّ على صرف الردى باق
فان اعش فلعل الدهر يجمعنا وان امت فسيسقيه كذا الساقي
لا ضيع الله الا من يضيعه ومن تخاق فيه غير اخلاقي
قد كان برد ى اذاما مسني كلف لا يثلم الحب ادابي واعراقي
حتى رمتنا صروف الدهر عن كثف ففرقتنا وهل من صرفه واق
اني لارمقه والموت يضغطني فاقتضى فرجة مرتد ارماقي(6)

لقد اجتمعت في نفس الشاعر كل المشاعر الانسانية اتجاه محبيه واصدقائه وهو ينازع الما وخوفا وحسره وندم على ما فات ويبقى عزائه في خلانه وقد كبر الامر عليه لفراق احبهم اليه وهو ذلك الكوكب الذي كان يهتدي به غربا وشرقا.

الفصل الثاني : الفكاهة

لغة : فكه بكسر الكاف ومنه الفاكهة معروفة واجناسها الفواكه والفاكهاني : الذي يبيعها . والفكاهة بالضم: المزاح والفكاهة بالفتح: مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه ، اذا كان طيب النفس فكاها.(7) لم تمنع الفتنه الكبرى التي اصابت قرطبة وحالة الفوضى السياسية فيها من تبدل للحكام واستيلاء وطرد من ان يكون لابن شهيد مكانته الادبية العالية في هذا المجتمع المفكك لأسباب منها قدرة ابن شهيد التأقلم مع جميع الاوضاع وهو قد خبر ذلك كما ان طبيعة شخصيته المعقدة تعقيدا اجتماعيا يمنحه القدرة على التواصل مع جميع فئات المجتمع لا سيما الادباء والشعراء وهم لسان حال الناس آنذاك وفيه يقول ابن بسام ((وكان ابو عامر شيخ الحضرة العظمى وفتاها ، ومبدا الغاية القصوى ومنتهاها وينبوع آياتها ومادة حياتها ، وحقيقة ذاتها ، وابن ساستها واساتها، ومعنى اسمائها ومسمياتها، نادرة الفلك الدوار، واعجوبة الليل والنهاران هزل فسجع الحمام ، او جد فزئير الاسد الضرغام ، نظم كما اتسق الدر على النحور، ونثر كما خلط المسك بالكافور، الى نوادر كأطراف القنا الاملود ..))(8) لقد اثار ابن شهيد اعجاب الكتاب في زمانه بقدرته على النظم في جميع فنون النثر والشعر وما عرف به من خيال خصب وشخصية مثيرة . وفي موضع اخر يصفه (كان ابو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام ، واذا تأملته ولسنه ، وكيف يجر في البلاغة رسنه، قلت عبد الحميد في اوانه والجاحظ في زمانه) وهو وصف تفرد به ابن شهيد دون غيره من الكتاب والشعراء الذين ذكرهم ابن بسام في الذخيرة فتشبيه الشاعر بعبد الحميد والجاحظ دلالة نقدية على علو مكانته

الأدبية وقدراته البلاغية في النظم . ثم يستطرد ابن بسام (وله رسائل كثيره في فنون الفكاهة وانواع التعريض و الاهزال ، قصار وطوال) (9)

ومن قصائده يعارض ابياتا من الشعر كتبها ابوه قاصدا المزاح:

قهقه الابريق مني ضاحكا وراى رعشة رجلي فبكى

فعارضه ابن شهيد بقوله:

اذّن الديك فثب او ثوّب وانضح القلب بماء العنب

وتأمل اية معجزة ما قرانا مثلها في الكتب

ركع الابريق من طاعته وبكى فابتل ثوب الاكوب(10)

فصلاة الفجر مرهون اداءها بنضح الماء الصاف والبارد من ثنايا اوراق العنب وما على الابريق الا ان يركع كانه عبد وظيفته الانحناء والبكاء وهو تشبيه فيه الكثير من التندر والظرافة . وقد كان شعر ابن شهيد ذا ملامح تتمثل في قدرته على التصوير وربط الطبيعة بالنفس البشرية وتوظيف القديم بقالب محدث يتلاءم والحضارة ومظاهرها والاخذ بأسلوب القص والحوار والاكثار من الفكاهة والدعابة (11)

ومن ملح الفكاهة عند ابن شهيد يصف محبوبته قرطبة بأسلوب محبب:

عجوز لعمر الصّبا فانيه لها في الحشا صورة الغانية

زنت بالرجال على سنّها فيا حبذا هي من زانية

تريك العقول على ضعفها تدار كما دارت السانيه

فقد عنيت بهواها الحلوم فهي براحتها عانية

تقاصر عن طولها قونكه وتبعد عن غنجها دانيه

ترديت من حزن عيشي بها غراما فيا طول احزانيه (12)

فقرطبة هي باعثة الحزن والموت والفناء وهي ايضا باعثة الفرح والغزل والحياة (13) فالدلع والحب الذي يكنه ابن شهيد لقرطبة التي ولد وعاش فيها و راى ما اصابها له حيز كبير في نفسه فهي معشوقه وهي العجوز التي تحنو و تتغنج في صورتها فتبهر الرجال فيقعوا في حبائل عشقها فلا قونكه ولا دانية بما عرفتا به من جمال اخاذ تستطيعان ان تباهيا قرطبة حتى ان الحزن الذي اصاب الشاعر قد غطى عليه غرامها وحبه لهذه العجوز التي لها في نفوس الاندلسيين وقع فهي عاصمتهم ومقر حكمهم ومباهاتهم . ولابن شهيد مزح ونوادر وملح نثرية عاتب فيها بعضا من احبابه واصلح ذات بين البعض منهم (14) حيث شكل هذا الجانب محورا مهما من حياة ابن شهيد ان لم نقل ان معظم الاغراض الشعرية التي كتب فيها لا تنفك عن هذه المعاني الانسانية وما يدور حولها.

وفي ختام هذا الفصـــل نلتمح مكانة الشـــاعر الادبية وواســـع علاقاته الاجتماعية ومكانته الأدبية وكيف انه قد اتخذ من الفكاهة في شـعره مصـافاة الخلان احيانا وخلق جو من البهجة والحبور احيانا اخر لقد ســـخر شـــعره وادبه في صـــقل شـــخصـــيته الأدبية ومكانته الاجتماعية وابراز حسنات شخصيته فالهزل والممازحة والمماحكة منبر اتخذه الشاعر وسيله لتحقيق غايات إنسانية.

الفصل الثالث : الموت.

لغة : الموت ضـــد الحياة ، وقوم موتى واموات وميتون ويســـتوي فيه المذكر والمؤنث ، قال تعالى ((لنحيي به بلدة ميتا)) ولم يقل ميتة . واماتت الناقة : اذا مات ولد ما فهي مميت ومميتة. (15) لم يستطع ابن شـهيد الشـاعر ان يخرج من ذهول الصـدمة الذي اصـابه كما اصـاب غيره وهو يرى دولة الاسـلام في اسبانيا تنهار امام ناظريه في سنوات معدودة وما وقع في قرطبة من خراب وحرق وتدمير فهي اضـــحت ملاعب للجن والغيلان وفيافي موحشـــة بعد الانس. وقد انعكس ذلك كله على حياته الاجتماعية في نبرة الحزن الواضـــحة في قصـــائده الشعرية:

مافي الطلول من الاحبّة مخبر فمن الذي عن حالها نستخبر؟
لا تسالن سوى الفراق فانه ينبيك عنهم انجدوا ام اغوروا
جار الزمان عليهم فتفرقوا في كل ناحية وباد الاكثر
جرت الخطوب على محل ديارهم وعليهم تغيرت فتغيروا(16)

لقد تركت الفتنه التي اصـــابت قرطبة و ما لحقها من تخريب وتدمير وتشـــريد لأهلها اثرا في نفس الشـاعر فهم سـادة العرب وعاصـمتهم قرطبة قبلة العالم فكيف بهم وقد تشـردوا و اصبحوا غرباء في البلاد البعيدة وقد قتل منهم من قتل ولا سبيل لهم فالدهر القى عليهم بعد ان اضحت قصورهم وبيوتهم اطلالا. وهذه الحالة قد تطورت وكبرت في نفس الشاعر اواخر حياته لا سيما مع مرضـه العضـال حيث اصـيب بالنقرس وهو داء لا يرجى شـفائه فقد اخذ الشـاعر يراجع حياته وما مر به فكان الموت هو اخر امنياته بعد ان كتب وصـيته وهو يرجو الله العفو والصفح:

تأملت ما افنيت من طول مدتي فلم اره الا كلمحة ناظر
وحصّلت ما ادركت من طول مدتي فلم القه الا كصفقة خاسر
وما انا الا رهن ما قدمت يدي اذا غادروني بين اهل المقابر
سقى الله فتيانا كانّ وجوههم وجوه مصابيح النجوم الزواهر
اذا ذكروني والثرى فوق اعظمي بكوا بعيون كالسحاب الماطر
يقولون قد اودى ابو عامر العلا اقلّوا فقدما مات اباء عامر(17)

حالة من الالم والغصــة وحزن ومعاناة فقد فات الشــاعر الكثير وهو لا يملك امام هذه اللحظات الفارقه في حياته الا ان يرثي نفســـــه وهو يعلم يقينا انه مقبل على الموت لامحالة فشـريط ذكرياته لا يسـعفه فيغني نفسـه ويطمئنه بل هو مقبل على مجهول قد فات وهو يناشـد اخوانه واصدقائه ان يذكروا محاسنه وهو حريص كل الحرص على ان لا يتناسى اصدقاءه ولا يتناسوه هم ايضا:

ولما رايت العيش ولّى براسه وايقنت ان الموت لا شك لاحقي
تمنيت اني ساكن في غيابة بأعلى مهبّ الريح في راس شاهق
ادرّ سقيط الحب في فضل عيشة وحيدا وحسي الماء ثني المعالق
خليلي من ذاق المنية مرة فقد ذقتها خمسين قولة صادق
كاني وقد حان ارتحالي لم افز قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي يدا في ملماتي وعند مضايقي
عليك سلام الله اني مفارق وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تابيني اذا ما فقدتني وتذكار ايامي وفضل خلائقي
وحرك بالله من اهل فنّنا اذا غيبوني كل شهم غرانق (18)

ان حالة الندم وقرب المنية شـكلت ارهاصـا دفعت قريحته الشـعرية للبوح بكل لواعج النفس البشرية وهي تمر بأصعب موقف يمر به انسان وهو على شفير الموت ينتظر ان تخرج الروح من الجسد وهو قد ذاقها الما وعذابا مرات كثيره خمسين مرة ممن لم يذقها مرة واحده وهو لم يعد ان يملك سـوى ان يسـتغيث بالخلان والاصـدقاء ان لا ينسـوا تأبينه والدعاء له لقد كان اخر ما تمناه الشـــاعر وهو العارف بالله وبالحياة والموت والجنة والنار ان يجتمع الناس ومنهم محبوه فلا يزالون يستغفرون له دهرا.

وقد اجابه ابن حزم بقصيدة يقول ابن بسام انه نقلها من خط يده:

ابو عامر ناديت خلّا مصافيا يفديك من دهم الخطوب الطوارق
والفيت قلبا مخلصا لك ممحضا بودك موصول العرى والعلائق
شدائد يجلوها الاله بلطفه فلا تاس ان الدهر جمّ المضايق
ورب اسير في يد الدهر مطلق ومنطلق الدهر اسوق سائق
سفينة نوح لم تضق بحلولها وضاق بهم رحب الفلا المتضايق
فان تنج قلت الحمد لله مخلصا فمن اعظم النعمى بقاء المصادق (19)

فالبرود في وصـــف الحالة واضـــح في ابيات ابن حزم فهي لا ترقى الى اللغة والصورة العالية التي خاطبه بها ابن شهيد صديقه المقرب وهو يصارع سكرات الموت قد بدا لنا ان هذا الرد الباهت من قبل ابن حزم مفاده ان ابن شـــهيد قد توفي قبل ان تصـــل مقطعته ابن حزم او بعد مناشدته اياه من هنا جاء هذا الفتور في مقطعة ابن حزم ؟.

ومرة اخرى يوصي بان يكتب هذان البيتان على شاهد قبره:

يا صاحبي قم فقد اطلنا انحن طول المدى هجود

فقال لي : لن نقوم منها مادام من فوقنا الصعيد(20)

في محاورة شعرية قصصية عرف بها ابن شهيد لا سيما في رسالته التوابع والزوابع لم يجد بدا بعد ان ايقن بالموت المحقق والالم يضغطه الا ان يندب حاله منتظرا مصيرا مجهولا تحت الثرى املا المغفرة والرحمة.

وقد روى ابن بسام ان ابن شهيد قد هم بالانتحار بعد ان تمكنت فكرة الموت من نفسه:

انوح على نفسي واندب نبلها اذا انا في الضّراء ازمعت قتلها
رضيت قضاء الله في كلّ حالة علي واحكاما تيقنت عدلها
اظل قعيد الدار تجنبني العصا على ضعف ساق اوهن السّقم رجلها
وانعى خسيسات ابن ادم عاملا براحة طفل احكم الضّر نصلها
الا ربّ خصم قد كفيت وكربةّ كشفت ودار كنت في المحل وبلها
ورب قريض كالجريض بعثته الى خطبة لا ينكر الجمع فضلها
فمن مبلغ الفتيان انّ اخاهم اخو فتكة شنعاء ما كان شكلها
عليكم سلام من فتى عضّه الردى ولم ينس عينا اثبتت فيه نبلها
يبين وكفّ الموت تخلع نفسه وداخلها حبّ يهّون ثكلها(21)

ينعى الشاعر حاله وما وصل اليه واصفا حالته النفسية والتي تمر في اقصى حالات ضـــعفها وحالته الجســـمانية بعد ان اصـــبح قعيدا لا يقوى على شـــيء وعزائه الوحيد في لمة الاصـحاب و الاحبه فلولا هم لقتل نفسـه لقد اصـبح الموت قرينا للشـاعر فهو يراقبه ويضـغط عليه حتى ان كفه قد احاطت بالشـــاعر من جميه الجوانب فلم يبق ســـوى ان تخلع هذه النفس فيستريح الشاعر وهو راض عن نفسه الرضا كله لان نفسه وروحه لم تكن تحمل سوى الحب ومحبة الاخرين وربما هذا ما كان يهون عليه.

النتائج

1- كتب ابن شهيد الشعر في الوانه المختلفة من مديح وهجاء ووصف وغزل ومجون

2- لم يكن ابن شـــهيد شـــاعرا فذا فقط لكنه كان يمثل مدرســـة في النقد الادبي فنظراته المتطورة في تغير الاحوال بتغير الزمان وتبدل حال الشـــعر بتبدل الاحوال الا ثورة متقدمة في الادب والنقد الاندلسي.

3- مثل شعر ابن شهيد جانبا مهما عن حياة الشاعر ومعبرا عن حال تلك المسيرة الحافلة بالأحداث الطيبة حينا والمؤلمة والمتغيرة حينا اخر.

4- مثلت الصداقة في بداية حياة الشاعر عنوانا للكثير من مكاتبات الشاعر النثرية منها والادبية وقد نقل لنا ابن بسام العديد من القصص التي تؤكد المكانة الادبية التي كان يحظى بها ابن شهيد لدى الطبقة الحاكمة والطبقات المجتمعية الاخرى من الادباء واصحاب التأليف ورجال الدين وغيرهم ومنه فقد كان للأصدقاء حظ من قصائد ابن شهيد في اخر ايامه وهذا للمكانة التي شغلها هؤلاء الاصحاب في نفس الشاعر.

5- روح الدعابة والفكاهة شكلت عنوانا لا يغيب عن مخيلة الشاعر في قصائده ومقاطعاته الشعرية وذلك نابع من فطرته الإنسانية فهو انسان محب للحياة اتخذ من الخلان والاحباب وانتحب منهم من انتحب اسلوب حياة لا يفارقه لا سيما اذا علمنا انه لم يتزوج ولم يعقب.

6- من جماليات شخصية ابن شهيد ان محبيه و نوادمه واصدقائه يكادون يمثلون طبقات المجتمع كافة فمنهم الوزير ومهم الكاتب ومنهم القاضي والاديب و الشاعر وهم من جميع الفئات العمرية فمنهم من يكبره بخمسين عاما ؟!ومهم من هو في عمره او يزيد وهذه ميزه تدل على سعة نفسه وتفرد شخصيته وقوتها وشيوع اسمه كواحد من الاسماء الكبيرة التي يشار اليها في قرطبة آنذاك.

7- كتب ابن شهيد قصائد في اخر ايامه وان تحدث فيها كثيرا عن الموت بعد ان عاش فترة وهو شبه مشلول فان هذه القصائد حملت معها بالإضافة الى تصوير المعاناة والتفتيش عن النهاية المحتمة بعد ان اصيب بالنقرس وما رافقه من الالام مبرحه فخلق حالة من الرهبة جمع فيه الشاعر بين براعته وقدرته على التصوير وما تحمله نفسه من تناقضات ايجابيه في حب الحياة الشوق للخلان التذاكر و التنادم والرغبة في التندر والمجالسة وبين الموت الذي خط طريقه للشاعر فلم يكن امامه الا ان يذكر الله كثيرا و يستنجد بكل من حفل باغيا الدعاء والمغفرة والصفح.

الهوامش

1- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : مجلد الاول : 195.

2- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب / تأليف الشيخ المقري التلمساني / تحقيق الدكتور احسان عباس / مجلد الاول : 356_357.

3- تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ص 342.

4- ديوان ابن شهيد : تحقيق يعقوب زكي : 112.

5- ديوان ابن شهيد الاندلسي : 139.

6- الديوان : 129.
7- الصحاح للجوهري : 896.
8- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة _ ابن بسام الشنتريني /تحقيق د. احسان عباس المجلد الاول ص 92.
9- الذخيرة الجزء الاول : 92.
10- الديوان : 92.وينظر اصل القصيدة في الذخيرة / الجزء الاول : 210.
11- الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة / د. احمد هيكل /دار المعارف 1979: ص 372.
12- الذخيرة
13- بلاغة الخيال في شعر ابن شهيد الاندلسي / د. سعده عبد الفتاح البحيري : ص 1038.
14- الذخيرة : المجلد الاول :192_وكذلك 326.
15- الصحاح للجوهري : 1103.
16- الديوان : 113
17- الديوان : 133_134 .
18- الذخيرة : مجلد الاول : 330. 1) ديوان ابن شهيد : جمع و تحقيق يعقوب زكي: ص 21.
19- الديوان : ص 109.
20- الديوان : ص 98
21- الذخيرة : المجلد الاول :328_329.

المصادر

1- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة تأليف علي بن بسام الشنتريني "542" تحقيق الدكتور احسان عباس / دار الثقافة بيروت 1997.
2- الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة / د. احمد هيكل /دار المعارف 1979:
3- تاج اللغة وصحاح العربية : تأليف ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري_ تحقيق الدكتور محمد محمد تامر / مراجعة الدكتور انس محمد الشامي _ زكريا جابر احمد/ دار الحديث / القاهرة 2009.
4- ديوان ابن شهيد الاندلسي _ تحقيق الدكتور يعقوب زكي _ القاهرة 1969.
5- بلاغة الخيال في شعر ابن شهيد الاندلسي / د. سعده عبد الفتاح البحيري/ بحث منشور في المجلد الثامن من العدد الحادي والثلاثين / حوليات كلية الدراسات العليا الاسلامية / مصر.
6- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : تأليف الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني : تحقيق الدكتور احسان عباس / دار صادر بيروت 1968.

References

1- Al- Shantarini, Ali bin Basam. Al- Dhakhira in the Merits of the People of the Island. "542". Investigated by Dr. Ihsan Abbas. Beirut: Dar Al- Thaqafah, 1997.

2- Heikal, Dr. Ahmed. Andalusian Literature from the Conquest to the Fall of the Caliphate. Dar Al- Maraarf, 1979.

3- Al- Gohari, Abi Nasr Ismail bin Hammad. Taj Al- Lughah and Sihah Al- Arabia. Investigated by Dr. Muhammad Muhammad Tamer. Reviewed by Dr. Anas Muhammad Al- Shami- Zakaria Jabar Ahmad. Cario: Dar Al- Hadith, 2009.

4- Zaki, Dr. Yaqoub. Diwan of Ibn Shahid Al- Andalusi. Cairo, 1969.

5- Al- Behairy, Dr. Saada, Abdel-Fattah. "The Rhetoric of Imagination in the Poetry of Ibn Shahid Andalusian". Egypt: Annals of the Faculty of Islamic Graduate Studies. Vol.8.31.

7- Al-Tilmisani, Sheikh Ahmed bin Muhammad Al-Maqri. Nafh Al-Tayyib from the Ghusn of Andalusia Al- Ratib . Investigated by Dr. Ihsan Abbas / Dar Sader. Beirut, 1968